قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

أثر اللغة على مناهج تفسير القرآن في الغرب الإسلامي "ابن عطية الأندلسي(ت542هـ/1147م) أنموذجا"

The Impact of Language on Qur'anic Exegesis in the Islamic West: Ibn Atiyyah al-Andalusi (d. 542 AH/1147 CE) as a Model

علي عشي[1] ، *
[1] جامعة باتنة[1]، مخبر الأبحاث والدراسات متعدد التخصصات في القانون والتراث والتاريخ، الجزائر.

Key words:

The Quran

Al-Andalus

Ibn Atiyyah

Interpretation

Linguistic approach.

Abstract

There was significant competition in Al-Andalus to emerge as a prominent school in the field of Tafsir (Quranic exegesis), with the Islamic Maghreb and Mashriq competing. Among the early commentators in Al-Andalus was Imam Abu Muhammad Abd al-Haqq ibn Ghalib ibn Atiyyah, who is considered one of the most prominent scholars of Tafsir. He left a significant impact on the development of Tafsir, especially through his book "Al-Muharrar Al-Wajiz fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz." One of the reasons for his distinction is his attention to language, grammar, and rhetoric as a fundamental approach in his interpretation, as he was a teacher and a linguistic specialist. This led him to pay attention to the parsing of words and terms in the Quran, in addition to grammar and rhetorical and stylistic significations in the Holy Quran, such as fronting and delaying.

Therefore, we seek through this paper to achieve several objectives from this topic, including: highlighting the contribution of Moroccans to the interpretive codification of the Holy Quran, while demonstrating the efforts of Ibn Attia in interpreting the Holy Quran and his scientific standing, and clarifying the impact of the Arabic language on his interpretive approach.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال :2025-09-18

القبول : 2026-05-24

الكلمات المفتاحية:

القرآن

الأندلس

ابن عطية

التفسير

المنهج اللغوي.

ملخص

لقد كانت هناك منافسة كبيرة في الأندلس للبروز كمدرسة في مجال التفسير، تنافس المغرب والمشرق الإسلاميين، ومن هؤلاء المفسرين الأوائل في الاندلس نجد الامام أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الذي يعد من أبرز علماء التفسير، وبفضله ترك أثرا بالغا على تطور علم التفسير ، خصوصا من خلال كتابه المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ومن بين أسباب تميزه عنايته باللغة والنحو والبلاغة كمنهج أساسي في تفسيره، لأنه كان مدرسا ومختصا لغويا ، مما جعله يولي اهتماما لإعراب كلمات ومصطلحات القرآن، إضافة إلى النحو والدلالات البلاغية والبيانية في القرآن الكريم مثل التقديم والتأخير.

لهذا نسعى في هذه الورقة إلى تحقيق عدة أهداف من هذا الموضوع منها: إبراز مساهمة المغاربة في المدونة التفسيرية للقرآن الكريم، مع إظهار جهود ابن عطية في تفسير القرآن الكريم ومكانته العلمية وتبيان اثر اللغة العربية في المنهج التفسيري له.

وسنتبع في هذه المقالة منهجا تاريخيا سرديا من خلال تقديم لمحة عن الأوضاع السائدة في عصر ابن عطية، وكذا المنهج الوصفي الذي يبرز لنا كيفية توظيف ابن عطية للغة في منهجه التفسيري.

* Corresponding author at : Multidisciplinary Research and Studies Laboratory in Law, Heritage and History, University of Batna 1 ALGERIA.
Email : ali.achi@univ-batna.dz

1. مقدمة

إن القرآن الكريم هو كتاب الهداية الإلهية الأخير، الذي حدد للناس معالم الحق ورسم لهم طريق الخير وبين لهم المثل الأعلى في كل شيء، في عقائدهم وعباداتهم وفي أخلاقهم ومعاملاتهم ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(المائدة 16)

ويعد تفسير القرآن الخطوة الثانية بعد القراءات في سبيل بيان معانيه، ولم يحتج الذين أدركوا نزول الوحي في عمومهم، أن يسألوا عن معاني القرآن لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه، ومع مرور الزمان، ازدادت الحاجة إلى معرفة معاني القرآن، نتيجة لاتساع رقعة البلاد الإسلامية، ودخول أجناس غير عربية بربرية وأعجمية، مما استدعى تعليم اللغة العربية وتفسير القرآن، خصوصا بالنسبة لغير العرب.

وكان دخول القرآن وتفسيره إلى الغرب الإسلامي مع بداية الفتح ومع البعثات الأولى من الصحابة والتابعين منهم، ليزدهر بعد التواصل الحضاري مع المشرق الإسلامي من خلال مختلف الرحلات الحجية والحجازية، وظهور مجموعة من المفسرين على رأسهم يحي بن مضر القرطبي (ت180هـ/796م) وتفسير القرآن ليحيى بن سلام البصري الإفريقي (ت200هـ/815م) وأسد الفرات (ت213هـ/ 828م) وغيرهم ، كما أدخلوا مجموعة من كتب المشارقة في التفسير ككتاب تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام (ت211هـ/826م) حدث به محمد بن عبد السلام الخشني.

لتظهر بدءا من القرن الخامس الهجري حركية متسارعة في تفسير كتاب الله العزيز الحكيم وصولا إلى تفسير مهم جدا امتدحه الكثير من الفقهاء والعلماء وهو تفسير أبو محمد بن عطية الموسوم بـ" المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز" والذي قال عنه ابن خلدون" فلخص تلك التفاسير كلها و تحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها و وضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى" فجمع بين المأثور والرأي، واعتمد على المعارف الأخرى كاللغة والنحو والقراءات والفقه وتحكيم العقل والترجيحات، ولا سيما صورة المفسر اللغوي والنحوي.

وقد تناول هذا الموضوع عدة دراسات سابقة منها دراسة محمد كامل عبد السلام (2011)، تحت عنوان ابن عطية الأندلسي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم. مجلة فكر وابداع، ع63، وقد تناول منهجه في جميع الجوانب دون التركيز على الميدان اللغوي.

ودراسة عبد الوهاب فايد (1973)، الموسومة بمنهج ابن عطية في تفسير القرآن العظيم، الهيئة العامة في شؤون الطابع الأميرية، مصر ونفس الشيء فقد مر مرور الكرام على الجانب اللغوي.

ومن هنا يمكننا أن نطرح الاشكالية التالية: كيف ساهم تكوين ابن عطية اللغوي والنحوي في إخراج تفسيره للقرآن الكريم؟

ونسعى لتحقيق عدة أهداف من هذا الموضوع منها:

إبراز مساهمة المغاربة في المدونة التفسيرية للقرآن الكريم

إظهار جهود ابن عطية في تفسير القرآن الكريم ومكانته العلمية

تبيان أثر اللغة العربية في المنهج التفسيري لابن عطية.

وسنتبع في هذه المقالة منهجا تاريخيا سرديا من خلال تقديم لمحة عن الأوضاع السائدة في عصر ابن عطية، وكذا المنهج الوصفي الذي يبرز لنا كيفية توظيف ابن عطية للغة في منهجه التفسيري.

وللإجابة عن الاشكالية السابقة سنتبع المنهجية التالية:

2. التعريف بابن عطية وبيئته الاجتماعية

عاش ابن عطية في ظروف سياسية هامة تمثلت في سيطرة المرابطين على الأندلس، واستتباب الأمن في ربوع المنطقة مما شجع على البحث والعلم والاجتهاد، وتولي حتى مناصب سامية كالقضاء في مدينة ألمرية (**فايد**، 1973، **صفحة** 13)، وانعكس ذلك على جهوده في مختلف المجالات.

ويعد من أبرز مفسري القرآن الكريم في القرن السادس الهجري الامام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية (**ابن بشكوال**، 2010، **صفحة** 487) بن مالك بن عطية بن خالد بن خُفاف بن أسلم بن مكرم (**ابن الأبار** ، 1989، **صفحة** 265) بن زيد بن مُحارب بن خصفة من قيس عيلان من مُضر الغرناطي الأندلسي ولد عام إحدى وثمانين وأربعمائة(481هـ/1088م) وتوفي بمدينة لورقة عام اثنتين وأربعين وخمسمائة(542هـ/1130م) (**الضبي**، 1967، **صفحة** 389)

وهو ينحدر من أسرة بني عطية وهي عائلة عربية عريقة، فجدهم الذي انتسبوا إليه هو: عطية بن خالد بن خِفَاف المُحاربي، أحد الجنود الذي قدموا لفتح الأندلس (**فايد**، 1973، **صفحة** 13) ونزل قشتالة والتي كانت تابعة لغرناطة وقيل نزل بقرية قُنَيْلة من زاوية غرناطة فانسل منه الكثير (**ابن عطية**، 2002، **الصفحات** 1ـ2).

والده هو الامام الحافظ أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب الأندلسي الغرناطي المالكي (441-518هـ/1049-1124م) واحد من كبار علماء الأندلس (**الضبي** ، 1967، **الصفحات** 440ـ 441) رحل إلى المشرق سنة تسع وستين وأربعمائة فلقي العديد من العلماء والفقهاء وسمع منهم وأخذ عنهم الكثير سواء في مكة أو الأندلس (**ابن فرحون** ، 1996، **صفحة** 276)

عاش ابن عطية في ظروف مميزة ممثلة في انتصار المرابطين

في موقعة الزلاقة عام 480هـ/1087م على ألفونسو السادس ملك قشتالة؛ ثم استمر سلطان المرابطين في الأندلس ما يزيد عن ستين سنة، وفروا خلالها البيئة العلمية الخصبة لازدهار العلوم والمعارف (**كامل عبد السلام** ، 2011، **الصفحات** 46-47)

وقد تتلمذ ابن عطية على يد عدة شيوخ ساهموا في تكوين شخصيته العلمية ونمت مواهبه وملكاته ومنهم : الحافظ الناقد أبو علي الغساني(427-498هـ/1036-1104م) وأبو علي الصدفي (ت514هـ/1120م) ووالده أبو بكر غالب بن عبد الرحمن(441-518/1049-1124م) والفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتّاب القرطبي(433-520/1041-1126م) والإمام المقرئ ابن الباذش(444-528هـ/1052-1134م) (**ابن عطية**، **فهرسه**، **تح محمد أبو الأجفان**، **ومحمد الزاهي**، 1983).

وكانت تنشئة ابن عطية في مدينة غرناطة أين أقبل على مدارس العلم بجد ورغبة بفضل رعاية والده حيث يذكر الضبي أن والده ربما أيقظ ابنه في الليل مرتين بقوله له: "قم يا بني أكتب كذا وكذا في موضع كذا من تفسيرك" (**الضبي** ، 1967، **صفحة** 441) كما قرأ على يد والده كتب الحديث والتفسير والفقه واللغة، واستجازه العديد من العلماء كمحمد بن أبي غالب القيرواني سنة494ه/1101م ولم يتجاوز عمره ثلاثة عشر عاما؛ ورحل أيضا يبحث عن العلم فطاف حول حواضر الأندلس لقراءة الكتب على الشيوخ، ولم يبلغ ابن عطية العشرين عاما حتى كان قد اتصل بأغلب علماء المنطقة (**ابن عطية**، **مقدمة المحقق مجد مكي تفسير ابن عطية**، 2002، **صفحة** 2).

قال عنه ابن بشكوال في الصلة: كان واسع المعرفة، قوي الأدب، متفننا في العلوم (**ابن بشكوال**، 2010، **صفحة** 487) وقال ابن فرحون كان القاضي أبو محمد عبد الحق، فقيها عالما بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب (**ابن فرحون** ، 1996، **صفحة** 276)

وقال عنه الذهبي الامام العلامة شيخ المفسرين...وكان إماما في الفقه وفي التفسير وفي العربية، قوي المشاركة، ذكيا فطنا مدركا، من أوعية العلم (**الذهبي** ، 1996، **صفحة** 587)

وقد ترك ابن عطية آثارا علمية كثيرة تبين تبحره في العلم، وتشهد له بالإمامة، حيث كان فقيها ومفسرا ولغويا محنكا وشاعرا بارعا، وأديبا مولعا، ففي مجال التأليف ترك لنا كتابه في تفسير القرآن الكريم والمعنون بـ المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز (**السيوطي**، 1979، **صفحة** 73) وألف فهرسة ضمت كل شيوخه الذي تتلمذ على يدهم والمعروفة بـ فهرست ابن عطية كما نظم الكثير من الشعر دون أن يجمعه في كتاب، وينسب إليه بعضهم كتاب كبير في الأنساب، إلا أنه على العموم مؤلفاته قليلة بسبب انخراطه في الجهاد والتصدي للمعتدين (**ابن عطية** ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية**، 2015، **صفحة** 27)

وتخرج على يد ابن عطية عدة طلبة ومشايخ منهم أبو بكر بن خير الاشبيلي(ت575هـ/1179م) وعبد الرحمن بن محمد بن حبيش(ت584هـ/1188م) والامام النحوي أحمد بنعبد الرحمن بن مضاء اللخمي القرطبي(ت593هـ/1197م) وابن أبي جمرة المرسي(ت599هـ/1202م) (ابن فرحون ، 1996، صفحة 276) وصرف عن قضاء ألمرية، نحو قضاء مُرسية، لكنه صُد عن دخولها وصرف منها إلى لُورقة، أثناء الفتنة الاندلسية وتوفي بها رحمه الله في منتصف رمضان سنة 542 هـ/1147م، وقيل 541هـ/1146م (**ابن الأبار** ، 1989، **صفحة** 266)

إن ما يلفت الانتباه في حياة ابن عطية أنه جاهد بقلمه وكتبه ورسائله، حيث كاتب بعض الأمراء يحثهم على نجدة البلاد، ويهيب بهم أن ينقذوا الأبرياء من الناس، وترك أشعارا حماسية تلهب المشاعر وتهيج النفوس وتشجعهم على الجهاد، كما جاهد بالسلاح في سبيل الله ضد أعداء الإسلام، أيام المرابطين، حيث خاض معارك حاملا فيها السيف مع جيوش الملثمين المرابطين، في تكال النصارى على الأندلس (**فايد**، 1973، **صفحة** 7)

كما أن ابن عطية عاش مالكي المذهب سني المشرب أندلسيا أشعريا عاضا على مذهب الجادة، لم يؤثر عنه شيء خالف ذلك؛ وقد صرح ابن تيمية بتفضيل تفسيره على تفسير محمد الزمخشري، وأنه أتبع للسنة والجماعة، وأسلم من البدعة (**ابن تيمية**، 2004، **صفحة** 361)، ولم يمنع ذلك من اتهامه بإتباع مذهب المعتزلة في بعض الأحيان.

ومن هذا كله نلمح في ابن عطية الفتى الكريم المحتد والشيخ الورع المقتد، عريق الأصل ذكي الفهم راجح العقل، يطلب العلم بكل جد ويمتطي صهوة المجد، وكيف لا وقد نمته عروق طيبة، وأنسلته أسرة كريمة، وأنجبه والد عظيم، فلهذا استطاع أن يخلف لنا موسوعة رائعة في التفسير (**فايد**، 1973، **صفحة** 22)

3. منهج ابن عطية في التفسير

لقد أدرك المسلمون الأوائل منذ نزول القرآن إليهم الحقيقة الكاملة وآمنوا بها إيمانا كاملا، فكان القرآن هو المحور الذي تقوم عليه حياة المسلمين العلمية في صدر الإسلام وبعده، فنجدهم يحفظون آياته ويتدبرون معانيه، ويطبقون أحكامه ويتخلقون بأخلاقه ويهتدون بهديه، من خلال محاولة تفسير معانيه وكلماته.

ويعد القرن السادس هجري من أخصب القرون وأكثرها عطاءً في مجال تفسير القرآن، ففي النصف الأول من هذا القرن ظهر أربعة من كبار المفسرين، اثنان من المشارقة وهما البغوي (ت516هـ/ 1122م) والزمخشري (ت538هـ/1143م)؛ واثنان من المغاربة هما ابن عطية (ت541هـ/1146م) وابن العربي (ت543هـ/1148م) ولكل واحد من هؤلاء المفسرين منهج متميز في التفسير.

إن ابن عطية لم يضع لتفسيره اسما خاصا به، فقد ذكر ابن عميرة الضبي(ت599هـ/1202م) أن ابن عطية ألف في التفسير كتابا ضخما أربى فيه على كل ما تقدم، ولم يذكر اسم هذا التفسير الذي اشتهر به (**الضبي** ، 1967، **الصفحات** 440. 441)

لكن لسان الدين بن الخطيب قال أن ابن عطية ألف كتابا في التفسير يسمى بالوجيز، فأحسن فيه وأبدع (**ابن الخطيب**، 1974، **صفحة** 539) أما من أطلق عليه اسمه المعروف الآن وهو المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، هو حاجي خليفة (ت1067ه/1657م) ولعله أخذه من معنى كلام ابن عطية في مقدمة تفسيره حيث يقول:" أن يكون جامعا وجيزا محررا" (**حاجي خليفة**، 2021، **صفحة** 304).

أما الباعث له على تأليف هذا التفسير فهو التقرب إلى الله تعالى لهذا بدأه في وقت مبكر من حياته(في حدود 30 سنة من عمره) (**ابن عطية**، **مقدمة المحقق مجد مكي تفسير ابن عطية**، 2002، **صفحة** 3) وبتشجيع من والده؛ كما ذكر ذلك الضبي عنه وقد ألف ابن عطية كتابا ضخما في التفسير أربى فيه على كل متقدم، أخبرني عنه شيخي القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد قرأ عليه جميعه بألمرية إذ كان أبو محمد قاضيا بها، سنة 529هـ/1135م وظل في هذا المنصب أكثر من عشر سنوات (**ابن فرحون** ، 1996، **صفحة** 276)

وقد امتدح ابن الأبار هذا التفسير بقوله" وتأليفه في التفسير جليل الفائدة، كتبه الناس كثيرا، وسمعوا منه، وأخذوا عنه" (ابن الأبار ، 1989، صفحة 266) وقال الامام أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي(ت741هـ/1340م) في مقدمة تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل :" وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله، فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر، محافظ على السنة" (**ابن جزي** ، 1995، **صفحة** 14)

وقال الامام المفسر أبو حيان محمد الغرناطي (ت745هـ/ 1344م) في مقدمة تفسيره البحر المحيط مثنيا على تفسير الزمخشري وابن عطية إنهما أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح والتحرير...وكتابيهما أنجدا وأغارا، وأشراقا في سماء هذا العلم، بدرين وأنارا، وتنزلا من الكتب التفسيرية منزلة الانسان من العين، والذهب الإبريز من العين، ويتيمة الدهر من اللآلي، وليلة القدر من الليالي (**أبو حيان الغرناطي**، 1993، **صفحة** 112).

وأشاد بهذا التفسير أبو الحسن النباهي المالقي بقوله وألف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير، فجاء من أحسن تأليف، وأبدع تصنيف (**النباهي المالقي**، 1980، **صفحة** 109).

كما ذكره ابن خلدون في مقدمته أن ابن عطية "تحرى ما هو أقرب إلى الصحة ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى (**ابن خلدون** ، 1978، **صفحة** 439)، ومدحه المقري في نفح الطيبب عندما قال ولأبي محمد بن عطية الغرناطي في تفسير القرآن الكتاب الكبير الذي اشتهر وطار في الغرب والشرق وصاحبه من فضلاء المائة السادسة (**المقري**، 1988، **صفحة** 179)

لقد حرص ابن عطية على الجمع في منهجه بين المأثور والرأي، فأكثر من ذكر الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين التي تدور حول شرح النص القرآني، وبيان مدلوله وتوضيح معناه، وعول أيضا على المعارف الأخرى التي تفيد في فهم النص مثل اللغة والنحو والقراءات والفقه وتحكيم العقل في ترجيح بعض الأقوال على بعض.

فمن اكثر التفاسير المشرقية التي تأثر بها ابن عطية وأفاد منها هو تفسير ابن جرير الطبري(ت310هـ/922م) المسمى جامع البيان وأفاد منه في عنايته بالمأثور، إلا أنه حذف الأسانيد، كما تأثر به في كثير من الآراء.

ولم يكن موقفه موقف الناقل الموافق، بل كان كثيرا ما يخالف الطبري ويناقش أقواله، كما في مناقشته في قصة شك إبراهيم في إحياء الموتى، إضافة إلى تفسير النقاش المسمى شفاء الصدور، كما تأثر في تفسيره بمصادر مغربية كتفسير ابن عمار المهدوي (ت440هـ/ 1048م) المسمى التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، وبتفاسير أندلسية كتفسير مكي بن أبي طالب القيسي(ت437هـ/1045م) المسمى بـ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه (**ابن عطية**، **مقدمة المحقق مجد مكي تفسير ابن عطية**، 2002، **صفحة** 4)

ويقوم منهج ابن عطية في تفسيره على عدة أسس نبرزها فيما يلي:❖ جمعه بين المأثور والرأي: الذي يقوم على قوانين العلم والنظر السديد وقد تجلت عناية ابن عطية بالمأثور فيما ذكره في تفسيره من الأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين، ولكنه لم يلتزم بتخريج الأحاديث النبوية، كما أورد في تفسيره أحاديث ضعيفة، بل وحتى موضوعة.

وهو أمر يؤخذ عليه، ويُنتقد تفسيره بسببه، كالحديث الذي أورده في فضل آية الكرسي، وهل ينام الله عز وجل؟ وهو حديث منكر، والأظهر أنه من الاسرائيليات (**ابن عطية**، **مقدمة المحقق مجد مكي تفسير ابن عطية**، 2002، **صفحة** 229)، وكذلك عند تفسيره قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة55)، وذكره حديث تصدق علي بخاتمه وهو راكع، وهو حديث مرفوع (**ابن عطية**، **مقدمة المحقق مجد مكي تفسير ابن عطية**، 2002، **صفحة** 555).

❖موقفه من الاسرائيليات:

لقد قلل ابن عطية قدر الامكان في تفسيره من ذكر الروايات الاسرائيلية، ونعى على المفسرين إكثارهم منها، بل ونقدهم في ذلك، وذكر في مقدمة تفسيره أنه لا يذكر من القصص

الاسرائيلية إلا ما لا تنفك الآية إلا به، مثل ما فعل عند تفسير قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة 248)

ذكر اختلاف المتأولين في كيفية إتيان التابوت، ثم عقب أن كثرة الروايا في ذلك بما لم أر لإثباته وجها للين إسناده (**ابن عطية، مقدمة المحقق مجد مكي تفسير ابن عطية**، 2002، **صفحة** 223)

❖توجيه القراءات المستعملة والشاذة:

حيث أورد ابن عطية في تفسيره القراءات المستعملة والشاذة، وبين ما تحتمله هذه القراءات من المعاني، قال في مقدمة تفسيره: " وقصدت إيراد جميع القراءات، مستعملها وشاذها واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ" (**ابن عطية، مقدمة المحقق مجد مكي تفسير ابن عطية**، 2002، **صفحة** 14) وقام بتوجيه هذه القراءات، وكان له نظرات صادقة وآراء سديدة، وجهود موفقة، كما ينتقد الوجوه الضعيفة التي ذكرها بعض العلماء.

وبين ابن عطية في مقدمة كتابه منهج عمله وأسلوب بحثه في كتابه الوجيز، حيث افتتح تفسيره بمقدمة موجزة بليغة بين فيها النقاط التالية:-سرد التفسير حسب رتبة الألفاظ

-ذكر جميع ما يتعلق بالآية من نحو أو لغة أو معنى أو قراءة

-ذكره للقصص التي لا تنفك الآية إلا بها ولا يفهم المعنى إلا بذكرها

-نسبة الأقوال لقائليها حال نقلها غالبا

-تتبع جميع الألفاظ حتى لا يقع طفر كما في كثير من كتب التفسير

-قصد إيراد جميع القراءات مستعملها وحتى الشاذ منها أحيانا.

ثم عقب ذلك مقدمة أخرى ضمنها عشرة أبواب مما ينبغي للمشتغل بالتفسير معرفته، لذلك كان ابن عطية يكثر في تفسيره من ذكر الاحتمالات التي يمكن حمل الآية عليها، كما كان يكثر من أقوال المفسرين، ثم يتركها من دون تعقيب عليها، إشارة إلى أن هذه الأقوال محتملة عنده في معنى الآية.

فمثلا عند تفسيره قوله تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(البقرة 45) يذكر ابن عطية من جملة الأقوال في هذه الآية دون أن يعقب عليها، فيقول قال مقاتل، ثم وقال مجاهد، وابن عباس، وقال قوم (**كامل عبد السلام** ، 2011، **صفحة** 78)

كما أن ابن عطية لا يسرف في ذكر المسائل الفقهية في تفسيره وعدم التعصب للمذهب المالكي لأن غرضه الأساسي ليس استنباط الأحكام الفقهية كما هو الشأن في كتب أحكام القرآن الأخرى، ولم يشغل نفسه بالأمور الفقهية ولا الرد على المذاهب المخالفة.

4. دور اللغة العربية وتوظيفها في منهج ابن عطية التفسيري

يصف السيوطي ابن عطية بأنه كان فقيها عارفا بالأحكام، والحديث والتفسير، بارع الأدب، بصيرا بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاء (**السيوطي، طبقات المفسرين، تح علي محمد عمر**، 1396، **صفحة** 61)

ويظهر تمكن ابن عطية في اللغة وأقسامها المختلفة إنشاؤه للرسائل البديعة في الترسل ويغلب عليه أسلوب السجع، وتجلى ذلك في جهاده بالسيف والقلم ضد الحملات الصليبية في محاولاتهم استرجاع المدن الاندلسية.

لهذا كان تأثير اللغة والنحو على تفسير ابن عطية واضحا جليا من خلال تفسيره للآيات وبيان معانيها في سفره الموسوم بـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز إذ يعد أنموذجا متميزا لدراسة النحو القرآني بطابعه الأندلسي.

فابن عطية يخصص في مقدمته بابا عنوانه: "باب فضل تفسير القرآن، والكلام على لغته، والنظر في إعرابه ودقائق معانيه"، وقال في هذا الباب "إعراب القرآن أصل في الشريعة، لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع" وهو يؤكد أن الإعراب هو الفهم الدقيق، ويرى في ذلك الأحاديث والآثار، ومن ذلك ما رواه من قوله صلى الله عليه وسلم "أعربوا القرآن، والتمسوا غرائبه، فإن الله يحب أن يُعرب" (**ابن عطية، مقدمة المحقق مجد مكي تفسير ابن عطية**، 2002، **صفحة** 20).

إن ابن عطية يتعرض إلى المعاني اللغوية والشرعية للألفاظ القرآنية موردا في شأنها أقوال أهل اللغة مشيرا في بعض الأحيان إلى مذاهب أصحاب المدارس النحوية في توجيه إعرابها، معضدا شرحه للمفردات بما ورد من شعر العرب.

لقد اعتمد ابن عطية على عدة مصادر من كتب اللغة والنحو في تفسيره مثل معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ/ 791م) وكتاب سيباويه أبو بشر عمرو بن عثمان (ت180هـ/ 796م) وكتاب معاني القرآن للفراء أبو زكريا يحي(ت207هـ/822م) وكتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى(ت209هـ/824م) وكتاب اصلاح المنطق ليعقوب بن اسحاق ابن السكيت(244هـ/ 858م) وكتاب المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد(ت285هـ/ 898م) وكتاب معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (ت311هـ/923م) وكتاب الأغفال وهو المسائل المصلحة من كتاب معاني القرآن وإعرابه لأبي علي الفارسي (ت377هـ/ 987) وكتاب مجمل اللغة لأحمد بن فارس (ت395هـ/1005م).

كما نلمح لتأثير اللغة على منهج ابن عطية في تفسير الوجيز، حين يعرض اللفظ القرآني عرضا عرفته العرب في معاني منطقها، فقد أقام ابن عطية تفسيره على أساس من اللغة في بيان معاني المفردات وإعراب الكلمات وتصريف المشتقات، مثل

ما فعل أثناء كلامه حول اشتقاق لفظ الملائكة عند تفسيره الآية" وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم" (30 من سورة البقرة) (**كامل عبد السلام** ، 2011، **الصفحات** 43ـ44)

وابن عطية يبدع في إبراز العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للعبارة، كما أن للمعاني الأصولية والفقهية حظها الأوفر في تفسير ابن عطية الفقيه المالكي المستنبط للأحكام الشرعية من آيات الله بعد أن تهيأت له ملكة الاجتهاد وتوفرت له المعرفة بقواعد وأصول الفقه (**ابن عطية** ، **فهرسه**، **تح محمد أبو الأجفان**، **ومحمد الزاهي**، 1983، **صفحة** 32)

أي أن ابن عطية عني عناية تامة في تفسيره بتحديد معنى الكلمات وشرح مدلولات المفردات، ولذلك قصدت تتبع الألفاظ حتى لا يقع طفر كما في كثير من كتب المفسرين، والطفر هو الوثوب والقفز، ويعني به هنا تخطي وجه الصواب إلى الخطأ في معاني الألفاظ القرآنية.

وفي تفسير ابن عطية حين يعرض الآيات من الوجهة الإعرابية لا يألو جهدا في ذكر الوجوه الإعرابية التي لها علاقة بتوضيح المعنى، وبيان المذاهب النحوية، ويرجح بعض الآراء النحوية ويرد على الآراء الضعيفة، مثل ما فعل في تفسير البسملة "بسم الله الرحمن الرحيم" وإعرابها.

وكما أعرب كلمة سَبْعَ في الآية "فسواهن سَبْعَ" بقوله نصب على البدل من الضمير، أو على المفعول بسوى بتقدير حذف الجار من الضمير، كأنه قال فسوى منهن سبعا، وقيل نصب على الحال (**كامل عبد السلام** ، 2011، **صفحة** 44)

ويكثر ابن عطية في تفسيره من الشواهد الشعرية على معاني القرآن، وعلى سبيل المثال عند تفسيره للاستواء (الأعراف 54) أن المعنى استولى كما قال الشاعر:

قد استوى بِشرُ على العِراقِ مِن غير سيْفٍ وَدم مُهراق (**ابن عطية**، **مقدمة المحقق مجد مكي تفسير ابن عطية**، 2002، **صفحة** 70)

ويبين ابن عطية أن الصلة وثيقة بين الفهم للقرآن، وبين الادراك الصحيح لأشعار العرب، ولهذا يروي أن الصلة وثيقة بين الفهم للقرآن، وبين الادراك الصحيح لأشعار العرب.

لكن ابن عطية في تفسيره كان يقلل من الأسرار البلاغية والبيانية، ووجوه الإعجاز البياني، مع أنه يرى أن وجه إعجاز القرآن هو نظمه، وصحة معانيه، وفصاحة ألفاظه، والسر في ذلك أن ابن عطية كغيره من الأندلسيين والمغاربة لم يشغل نفسه كثيرا في علوم البلاغة والبيان، ولم يعكف على دراستها والتعمق في مسائلها، يضاف إلى ذلك أن ابن عطية ضيق دائرة المجاز في القرآن، حيث إنه كان يرى أنه لا مجاز فيما تتأتى فيه الحقيقة.

ومن المعلوم أن المجاز بأقسامه هو أهم الفصول في الدراسات البلاغية، على أن تفسير ابن عطية لم يخل من صور بيانية وبلاغية ذكرها، ككلامه عن التشبيه، والاستعارة، والمجاز، والايجاز، وأبرز بعض الأسرار البلاغية في التعبير القرآني (**كامل عبد السلام** ، 2011، **صفحة** 44)

كما أن ابن عطية أثناء تفسيره يقوم بتوجيه القراءات توجيها يوظف لصالح المعنى، مما يبين أنه مفسر لغوي كبير ونحوي في نفس الوقت، مما سمح له أن يخرج لنا تفسيرا متنوع الآليات والاهتمامات، شأنه شأن المفسرين الكبار الذين اعتمدوا على اللغة كأساس لمنطلقهم التفسيري.

5.مناقشة النتائج

كان عبد الحق بن عطية من العلماء الشاعرين بالمسؤولية التي يفرضها مستواهم العلمي لخدمة ثقافة هذه الأمة والمساهمة في تطوير معارفهم ونشرها، أي رأى أنه من الواجب على من اجتبى وتخير من العلوم واجتبى، أن يعتمد على علم من علوم الشرع، يستنفد فيه غاية الوسع، يجوب آفاقه ويتتبع أعماقه، ويضبط أصوله، ويحكم فصوله، ويلخص ما هو دونه، أو يول إليه ويعنى بدفع الاعتراضات عليه، حتى يكون لأهل ذلك العلم كالحصن المشيد، والذكر العتيد، يستندون فيه إلى أقواله، ويحتذون على مثاله. (**ابن عطية** ، **فهرسه**، **تح محمد أبو الأجفان**، **ومحمد الزاهي**، 1983، **صفحة** 28)

بذلك عد ابن عطية أحد علماء القرن السادس الهجري في بلاد المغرب الأندلس الذين أسهموا بنصيب وافر في ميدان التفسير، وتفسيره من التفاسير النادرة التي لها قيمة كبيرة، والتي امتازت بمنهج علمي، وبلغة عربية قوية

اختار ابن عطية التفرغ للتفسير خدمة لكتاب الله العزيز باعتبار شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فوجد أنه أرسخ هذه العلوم آثارا وأسطعها أنوارا علم كتاب الله جلت قدرته وتقدست أسماؤه.

كان أبو محمد عبد الحق بن عطية ذا ثقافة واسعة وتضلع في علوم اللغة وعلوم الشريعة والفقه وله اطلاع على كثير من الآثار الواردة في التفسير وآراء كثير من العلماء المؤولين للآيات، ومطلع حتى على الأديان الأخرى، وقد استطاع أن يسمو إلى رتبة معاصره محمد الزمخشري.

6. خاتمة

يعتبر من أوائل المفسرين الذين حاولوا لم شتات تفسير القرآن ومختلف القراءات القاضي الإمام أبو محمد بن عطية عبد الحق بن غالب الغرناطي، من خلال كتابه المسمى بـ" المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" وهو من أعلى كتب التفاسير رتبة وأغلاها وأرفعها منزلة وأسماها، لجمعه بين المأثور والمنقول، والمعقول المقبول، مع ذكر أسباب النزول وعنايته باللغة والنحو والإعراب واهتمامه بالقراءات ومحاولة تفاديه للإسرائيليات.

ان ابن عطية وضع لنفسه منذ البداية منهجا متكاملا ورسم لها طريقا واضح المعالم، وحاول دائما أن يكون ملتزما وأن يسير

في حدود هذا الطريق، ولم يخرج-فيما رأينا- عن منهجه إلا في مواقف نادرة وهي لا تعتبر إخلالا منه بمنهجه، ولكنها طبيعة البحث الذي يتطلب ذلك.

وتكمن أهمية تفسير ابن عطية في أنه جمع فيه كل شيء دون ان يطغى جانب على آخر حيث جمع اللغة والإعراب والنحو والشعر والقراءات والأثر والعقل والفقه، كما حاول أن يتفادى ادخال الاسرائيليات والقصص الزائفة قدر الامكان.

اعتمد ابن عطية في تفسيره على المأثور من أقوال المفسرين والصحابة، وأول ما يعتمد عليه في المأثور هو الأحاديث النبوية؛ ثم أقوال الصحابة والتابعين، وكبار العلماء المعروفين، كعلي بن أبي طالب وابن عباس، وعبد الله ابن مسعود وغيرهم، وهو ما يدل على تقدمه في علوم المنثور والمنظوم والمنقول، متقلب في فنون الأدب، متمكن في علمي المعاني والإعراب، فهو فارس ميدان ممارسة وفصاحة وبيان.

لقد مضى ابن عطية في مسلك التفسير بنفس طويل بعد أن قدم بين يديه مقدمات تعطي القارئ بيانات هامة، وتمده بأشياء ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في هذا العلم مجتمعة لذهنه، مما جعله ينتج موسوعة هامة في علم التفسير والاطلاع على مختلف القراءات المعروفة والشاذة.

ونوصي في ختام هذه المقال بالاهتمام أكثر بالتراث التفسيري المغاربي عامة والجزائري خاصة للتعريف بهذا الموروث العلمي الهام والحفاظ عليه من الاهمال والزوال.

محاولة تبسيط وتقريب تفسير ابن عطية للقارئ من خلال محاولة اختصاره أو تلخيصه، ووضعه في متناول الانسان المسلم خاصة في المساجد والمدارس والجامعات.

من الواجب علينا نحن كباحثين في التاريخ الإسلامي أن نوجه الأنظار دائما إلى القرآن، وأن نوجه اهتمامات الطلبة بالأساليب المختلفة، وتسليط الأضواء على الجهود العظيمة التي قام بها علماء الإسلام لتفسير كتاب الله وشرح آياته.

تضارب المصالح

يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح.

ـ المصادر والمراجع:

أبو الحسن النباهي المالقي. (1980). تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث. بيروت: دار الآفاق.

أبو القاسم ابن بشكوال. (2010). الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تح بشار عواد معروف، ج1. تونس: دار الغرب الإسلامي.

أحمد بن يوسف أبو حيان الغرناطي. (1993). تفسير البحر المحيط، تح عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض. بيروت: دار الكتب العلمية.

أو ملا كاتب جبلي حاجي خليفة. (2021). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، جمع بشار عواد معروف و اكمال الدين احسان أو علي، ج6. بيروت: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

جلال الدين السيوطي. (1979). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2. بيروت: دار الفكر.

أبو علي حسين ابن الأبار . (1989). المعجم في أصحاب القاضي الصفدي، تح إبراهيم الأبياري. القاهرة: دار الكتاب المصري.

أحمد ابن تيمية. (2004). مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج13. المدينة المنورة: نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

أحمد ابن جزي . (1995). التسهيل لعلوم التنزيل، ضبط وتسهيل واخراج محمد سالم هاشم، ج1. بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد بن يحي الضبي . (1967). بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس. القاهرة: دار الكتاب العربي.

الاندلسي ابن عطية . (1983). فهرسه، تح محمد أبو الأجفان، ومحمد الزاهي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الاندلسي ابن عطية . (2015). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الاندلسي ابن عطية. (2002). مقدمة المحقق مجد مكي تفسير ابن عطية. بيروت: طبعة دار ابن حزم.

التلمساني المقري . (1988). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح احسان عباس، ج3. بيروت: دار صادر.

المالكي ابن فرحون . (1996). الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح مأمون بن محي الدين الجنان. بيروت: دار الكتب العلمية.

جلال الدين السيوطي . (1396). طبقات المفسرين، تح علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة وهبة.

شمس الدين الذهبي . (1996). سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرنؤوط، ج19. بيروت: مؤسسة الرسالة.

عبد الرحمن ابن خلدون . (1978). المقدمة. بيروت: دار القلم.

عبد الوهاب فايد. (1973). منهج ابن عطية في تفسير القرآن العظي. مصر: الهيئة العامة في شؤون الطابع الأميرية.

لسان الدين ابن الخطيب . (1974). الاحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد عبد الله عنان، ج3. القاهرة: مكتبة الخانجي.

محمد كامل عبد السلام . (2011). ابن عطية الأندلسي ومنهجه في تفسير القرآن الكريم. مجلة فكر وابداع، ع63، 46-47.

ـ كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

علي عشي (2026)، أثر اللغة على مناهج تفسير القرآن في الغرب الإسلامي "ابن عطية الأندلسي(ت542هـ/1147م) أنموذجا"، المجلد 18، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص ص: 43-49.